

التبيان في تفسير القرآن

(309) اﷻ تعالى بذلك في قوله " كذلك كذب الذين من قبلهم " ومعناه مثل هذا التكذيب الذي كان من هؤلاء - في انه منكر - " كذب الذين من قبلهم " وانما قال كذلك لتقضي الخبر، ولو قال (كذا) لجاز، لانه قريب بعد الاول، و (كذلك) أحسن، لان ما فيه من تأكيد الاشارة تغني عن الصفة. وحكي انه قرئ " كذب الذين " بالتخفيف، فمن خفف اراد ان هؤلاء كاذبون كما كذب الذين من قبلهم على اﷻ بمثله. ومن قرأ بالتشديد، فلانهم بهذا القول كذبوا رسول اﷻ لانهم قالوا له: ان اﷻ اراد منا ذلك وشاءه، ولو اراد غيره لما فعلناه، مكذبين للرسول (ص) كما كذب من تقدم انبياءهم فيما أتوا به من قبل اﷻ. ثم بين بقوله " قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا " أن ما قالوه باطل وكذب على اﷻ لانه لو كان صحيحا لمارده عليهم. ثم أكد تكذيبهم بقوله " ان تتبعون الا الاطن " أي ليس يتبعون إلا طنا من غير علم " وان انتم الاتخرون " يعني تكذبون، والخرص الكذب كقوله " قتل الخراصون " (1) وفي هذه الآية أدل دلالة على ان اﷻ تعالى لا يشاء المعاصي والكفر، وتكذيب طاهر لمن أضاف ذلك إلى اﷻ مع قيام ادلة العقل على انه تعالى لا يريد القبيح، لان إرادة القبيح قبيحة، وهو لا يفعل القبيح، ولان هذه صفة نقص، فتعالى اﷻ عن ذلك علوا كبيرا. وقوله " حتى ذاقوا بأسنا " معناه حتى ذاقوا عذابنا، واراد به حلول العذاب بهم فجعل وجدانهم لذلك ذوقا مجازا. وجاز قوله " ما أشركنا ولا آباؤنا " ولم يجر ان يقال: قمنا وزيد، لان العطف على المضمرة المتصلة لا يحسن الا بفصل، فلما فصلت (لا) حسن، كما حسن: ما قد قمنا ولا زيد كان كذلك، لان الضمير المتصل يغير له الفعل في (فعلت) فيصير كجزء منه. _____ (1) سورة 51 الذاريات آية 10